مقالات

لكيلا تكون التربية هرطقةً سياسية «المُتعلم» مركز العملية التعليمية وغايتها

أ.د. محمد جواد رضا

- 1 -

التربية علم موضوعه الإنسان وسلامة نمائه المتمرحل في تفتح قدراته وطاقاته التي أودعها الله فيه، وحماية هذه القدرات والطاقات من الجور عليها بالتوقعات الاجتماعية المسبقة سياسيةً كانت تلك التوقعات أم غير سياسية. إن تربية الفرد لا يجوز أن ينظر إليها على أنها مشروع سياسي أو أيديولوجي من أي نوع كان.

بعبارة أوضح إن ولاء المؤسسة التربوية يجب أن يكون للمتعلم الذي أنبهر الأقدمون من مفكرينا العقلانيين بتعقد تركيبه المادي والعقلي حتى وجدوا فيه العالم كله:

وتحسبُ أنك جَرمٌ صغير

وفيك انطوى العالم الأكبرُ

أي طفل يولد في هذا العالم لا يولد ليؤسس كينونة اجتماعية مفترضة مسبقاً ومخططاً لها من قبل الآخرين. الطفل يولد ليكون ذاته.. ما يمكن أن يكونه؛ لهذا فإن أول ما يجب أن تدركه المؤسسة التربوية ويدركه المعلمون والمعلمات في تعاملهم مع المتعلم أنهم يتعاملون مع كائن «بايوسايكولوجي»، وهو يجب أن يُتعامل معه وفقاً لهذا المفهوم طالما أن الديناميكيات العضوية والنفسية والتَّنشِّئيّة تتفاعل كلها فيه لتعطيه شخصيته المتميزة، وتجعله ما سيكون في نهاية المطاف، إنساناً سوياً متفائلاً جسوراً مقتحماً واثقاً بنفسه وبالآخرين، مبدعاً، تتفتح أمامه أبواب التقدم الاجتماعي، أو فرداً معقداً خائفاً خانعاً شكّاكاً بنفسه وفي الآخرين، مترددا مجرداً من القدرة على الإبداع والعطاء، فينتهي إلى الإهمال والعدوانية، أو إلى الانطواء والاستقالة من الحياة.

لقد كان من مفسدات التربية العربية حتى الآن التعامل المثالي مع المتعلم، وإغفال الجانب المادي من وجوده واحتياجات نمائه. لقد كان هذا التعامل مع المتعلم مبنياً على فرضية مؤداها أن الطبيعة الإنسانية هي طبيعة اجتماعية من حيث الجوهر على الرغم من أن الأسس البايولوجية للوجود الإنساني هي أشياء مشتركة بين الإنسان والكائنات الحية الدنيا. لقد كانت هذه الفرضية تسقط من الحساب حقيقة مهمة، وهي أن التأثيرات الاجتماعية تستطيع أن تفعل فعلها في كائن عضوي فقط، وأن الاختلاف في «البنية العضوية Organic Structure» يؤدي بالضرورة إلى اختلاف في ردود الفعل للمؤثرات الاجتماعية؛ ولذا فإننا لا نفهم استجابة الفرد لهذه المؤثرات إلا إذا فهمناه على

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 112 12/13/10 12:30:01 PM

ثلاثة مستويات عضوية هي: (1) الوراثة. (2) مستوى الأنظمة العضوية العاملة داخل وجوده العضوي. (3) مستوى أنظمة السوائل الجسدية، أي: الكيمياء العضوية للإنسان وتركيبه الهرموني.

هل في هذا تخفيض للإنسان إلى كائن مادي تتحكم فيه أنظمته العضوية؟

ليس الأمر كذلك تماماً ولكنه قطعاً مقاربة للواقع العضوي ومصدريته في تشكيل السلوك الإنساني. وإذا كان الأمر كذلك فلننظر في كيمياء الإنسان وأثرها في سلوكه المعيَن لبعض جوانب شخصيته أو كيانه الشخصي.

هناك خمس غدد صماء Endocrine Glands تتحكم في سلوك الإنسان هي:

1 ـ	الغدة الدرقية	Thyroid
2 ـ	الغديدات الدرقية	Para Thyroid
3 ـ	الغدة الكظرية	Adrenal
4 ـ	الغدة التناسلية	The Gonad
5 ـ	الغدة النخامية	The Pituitary Gland

المقام لا يحتمل التعامل مع كل هذه الغدد، فلننظر في واحدة منها وفعلها في السلوك الإنساني، لننظر في الغدة الدرقية Thyroid.

ـ 2 ـ

هناك غدتان درقيتان في الإنسان تقعان قرب الحنجرة، واحدة على كل جهة من جهتي العنق، وهما تفرزان هرمون الثايروكسين Thyroxin. إحدى الوظائف الأساسية لهرمون الثايروكسين هي تنظيم استهلاك الجسم للأوكسجين، ومن ثم تعيين مستوى الطاقة في الجسم الإنساني.

إذا كان إفراز الغدة للثايروكسين عادياً لم تظهر إشكالات سلوكية عند الفرد. أما الأفراد الذين يُصابون بنقص في إفراز الثايروكسين Hypo–Thyroxin فيتميز سلوكهم بالكسل والخمول والسماجة. وفي الأطفال بشكل عام يقترن نقص الثايروكسين بانخفاض درجة الذكاء، ولكن إذا اكتشفت الحالة مبكراً فيمكن علاجها دوائياً، وتنشيط الغدة ذاتها لزيادة إفرازها من الثايروكسين. أما على صعيد الشمائل والخصائص الشخصية العامة فإن نقص الثايروكسين في المتعلمين الأكبر سناً يؤدي إلى جعل الإنسان منواماً (كثير النعاس) كما يجعله بطيء الاستجابة للمنبهات الخارجية كما يجعله سريع الهيجان والانفعال، وتصطبغ حياة المصابين بنقص الثايروكسين عموماً بالكآبة وعدم الرضا عن الأشياء، وفقدان الثقة بالآخرين.

في الحالة المعاكسة، وهي زيادة إفراز الثايروكسين Hyper–Thyroid فإن أعراض هذه الزيادة في سلوك المصاب تتمثل في ارتفاع درجة التوتر العصبي والانفعالية الشديدة والقلق. وعموماً فإن المصاب بزيادة إفراز الثايروكسين يتميز بالاضطراب والتفجر والتعب الدائم.

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 113 12/13/10 12:30:02 PM

لقد أثبتت بحوث علم الأعصاب مؤخراً أثر السنوات الأولى من عمر الطفل في تكوين خلايا مخّه ومصدريتها في تنمية قواه العقلية والإدراكية. العصبونات التي تربط خلايا المخ ببعضها Synapses تنمو سريعاً في السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل، وكثافة العصبونة تبلغ ذروتها في السنة الثالثة من العمر وبعدها تأتي فترة من الاستقرار النسبي في نمو العصبونات، تتبعها فترة من الإقصاء تأخذ خلالها كثافة العصبونة بالتناقص إلى مستوى الإنسان الراشد وبسبب هذا النمط من تشكّل العصبونات تتميز السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل بأهمية عليا بالنسبة لتطور مخّه ونماء قواه العقلية والإدراكية [1].

-3-

إن هذا التفاعل بين ما هو مادي وما هو عاطفي في الوجود الإنساني أعطى العلماء المعاصرين شرعية الاستخلاص بأن الشخصية الإنسانية هي وحدة نفسية فسيولوجية Psychophysiological Unit تصدر عنها أحداث عاطفية Emotional أو عضوية Organic، يؤثر بعضها في بعض بطرق مختلفة ودرجات متباينة.

إن إغفال دور العامل المادي (البايولوجي في هذه الحالة) في العملية التعليمية طالما أدى إلى سوء فهم التعامل مع المتعلمين وظلمهم؛ إذ جعل المعلمين والمعلمات يفسرون تقصير المتعلمين معرفياً أو سلوكياً على أنه حالة من التمرد أو عدم الانضباط يجب أن تُقابل بالعقاب، على حين أن الأطفال أبعد ما يكونون عن إرادة التمرد، أو رفض الانضباط، وهكذا يكون الجَوْر على هؤلاء المتعلمين مضاعفاً، الطبيعة تفسد نظام الأشياء في وجودهم العضوي، والمدرسة تعاقبهم على فعل الطبيعة فيهم، وفي كلتا الحالتين هم يحرمون من حقهم المشروع في توقع المعونة على فهم أنفسهم، والتخلص من معوقات تعليمهم، ومن وعي وجودهم الحر الذي هو وسيلتهم الوحيدة إلى تكاملهم إيجابياً مع مجتمعهم، والظفر بدورٍ فعال لهم من حياة هذا المجتمع تكسبهم ما هم مؤهلون له طبيعةً، ومستحقون له شرعاً من احترام الذات والثقة بالنفس، والقدرة على الفعل.

إن معنى الحرية ـ كما يلاحظ أريك فروم ـ يتغير عند الإنسان وفقاً لدرجة وعي الإنسان لذاته وصورته عن نفسه كائناً مستقلاً عن الآخرين. والوجود والحرية هما أمران لا مهرب منها لضمان النماء السوي للفرد، علماً بأن الحرية مستعملة هنا بمعناها السلبي (الحرية من قيود الآخرين... Freedom From) وليس بمعناها الإيجابي (...Freedom To)أي: القدرة على الفعل. إن أي تناقض بين (الوجود) و(الحرية) يؤدي إلى صراع مبكر بين مشاعر الأطفال التلقائية وبين سلطة الكبار، خصوصاً إذا كانت هذه السلطة دوكماتيكية أو مرتابة.

إن التربية الجيدة يمكن أن تمنع هذه التعقيدات في عملية النماء الإنساني إذا كانت تهدف إلى تعزيز وتوسعة مساحة الاستقلال الداخلي، والتوجه المستقل عند المتعلم؛ وبهذا تكفل نموه السوي، ووحدة شخصيته. ولكن إذا كان التعليم يميل إلى إلغاء العفوية في

(1) أكد الكاتب هذه الظاهرة العلائقية الفاعلة في نمو القدرات العقلية والإدراكية للطفل في أكثر من مكان من كتاباته التربوية وهي مبلورة بشكل أكثر تكاملاً في كتابه: «العرب والتربية والمستقبل تربية النكوص.. أو.. تربية الأمل»، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية الكويت، 2000.

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 114 12/13/10 12:30:02 PM

الطفل، ويميل إلى التعويض عن العفوية والأصالة في سلوك المتعلم وتفكيره بتلقينه أفكاراً ورغبات مقبولة من الآخرين، فإن ذلك معناه قتل العفوية والتلقائية في المتعلمين وتعريضهم إلى ما يتبع ذلك من شرور أخرى، مثل تحقير الذات والعواطف الإنسانية الطبيعية، وقتل الفكر الأصيل فيهم، وتشويه معرفتهم بالعالم والمجتمع، وتزييف إرادتهم، وغير ذلك من العاهات النفسية.

-4-

إذا كان فهم المتعلم والتعامل معه «بايوسايكولوجياً» هو العنصر التكويني الأول للتنشئة السوية المبتغاة للمتعلمين، فإن العنصر التكويني الثاني لهذا الفهم هو ضرورة التكامل مع الرؤى التربوية العالمية الحاكمة في عالم اليوم والغد.

هذا التكامل تمليه حقيقة حياتية غير قابلة للتجاهل، أو التقليل من قيمتها. إن أجيالنا الجديدة ستعيش في عالم «مُعَوْلَم» متنافس، ويجب أن تضمن بقاءها فيه قوةً فاعلةً ومؤثرةً في حدوثاته وتوجهاته، ومالكةً لسيادتها على نفسها.

من هذه الرؤى التربوية ما درجت الأمم المتحدة على المطالبة به منذ 1985 وقوامه:

> «إن مهمة التربية في القرن الحادي والعشرين ستكون تهيئة الشباب لتحقيق طاقاتهم الداخلية، والسعي من أجل دور نافع لهم في المجتمع. إن التربية بهذا المعيار يجب أن تجدد المجتمع، وأن تبدله، وذلك بتحدِّيها للحكمة المرتضاة من قبله بتوسيع معارفه، وتمحيص عمل مؤسساته القائمة.
>
> إن التربية يجب أن تقود الناشئة إلى التطلع إلى مستقبل غير قابل للتنبؤ، وتكون وظيفة المدرسة في عملية التطلع هذه مساعدة الناشئة على اكتساب المرونة لمواجهة هذا المستقبل غير القابل للتنبؤ، وفي الوقت ذاته المساعدة في عملية تشكيله»[2].
>
> رؤية ثانية تلزم تربية القرن الحادي والعشرين بإعانة الشباب على «فهم أنفسهم، ومعرفة أفضل الخيارات المفتوحة أمامهم، وتمليكهم رؤية ناقده في طبيعة الثقافة التي ينتسبون إليها»[3].

رؤية ثالثة طرحتها اليونيسكو عام 1995 أجملت الغرض الأعلى من التربية في القرن الحادي والعشرين بـ:

> «الطريقة التي تستطيع بها التربية أن تغرس وتنمي الطاقات المبدعة في كل فرد، وفي الوقت ذاته أن تُسهم في تطوير تماسك المجتمع في زمن يزداد عولمةً يوماً بعد يوم».

(2) United Nations -1985, Report on The World Social Situation.

(3) UNESCO - International Commission on Education For The 21 Century - Paris, 1995.

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 115 12/13/10 12:30:02 PM

- 5 -

الرؤى الثلاث في طبيعة التربية الجديدة، تربية القرن الحادي والعشرين، تلتقي على موضعه عمل المؤسسة التربوية في منظور مستقبلي ملزم بتجديد فهمنا لما هو متوقع من تنشئة الأفراد عليه من خبرات ومهارات ومفاهيم ونظم تفكير تمكنهم كذوات فردية، أو وجودات اجتماعية متميزة من منافسة بعضهم بعضاً، ومنافسة أبناء الأمم الأخرى في ميادين الاقتصاد والتحليل الرمزي اللذين هما نداء المعركة الحضارية في القرن الجديد.

بإزاء هذه التحولات في الرؤى التربوية العالمية لا يجوز للبصيرة التربوية العربية أن تقصر في الاستباق إلى تشخيص الاحتياجات التربوية للناشئة العربية في «حومة العولمة». إن ما تحتاجه الناشئة للصمود في هذه الحومة المعولمة هو تعلم القدرة على التفكير الجيد، وحل المشكلات والإبداع في مواجهة الظروف الحياتية الجديدة وستكون العدة المشترطة لبلوغ ذلك رصيداً ضخماً من المفردات اللغوية المرمّزة، وفهماً عميقاً للوضع الإنساني الجديد في الكون.

هذه المهام الجديدة تشترط بدورها توافر كفايات أساسية يجب أن يحققها التعليم في المتعلمين، كفايات الضرورة الوظيفية للعيش في العالم المعقد الذي صارت أجيالنا الجديدة تولد فيه. هذه الكفايات يمكن إجمالها في وجوب اكتساب المتعلمين أطفالاً ومراهقين.. بنين وبنات العُدد التربوية الآتية:

1 ـ حيازة اللغة المنظمة.
2 ـ القدرات العقلية النامية والمتنامية.
3 ـ الفهم الأوسع للعالم.

لبلوغ هذه الغاية لابد من تمكين المتعلمين من امتلاك المهارات الآتية:

أ- الكفاية في استعمال اللغة القومية ومهاراتها المتنوعة، مثل القراءة والكتابة والكلام والإصغاء والملاحظة، مع تمكينهم من امتلاك لغة عالمية.
ب ـ التمكّن من العمليات العلمية الأساسية، كالقياس والتخمين والتقدير والعمليات التفاضلية.
ج ـ التدريب في استعمال المبتكرات الرمزية، مثل الكمبيوتر وأدوات التحليل الرمزي.

إن هذه المهارات تعتبر في الدوائر التربوية العالمية اليوم مقومات شرطية للتعلم الجيد، ومن دونها تستحيل استمرارية التعلم الذاتي الموجه نحو الاستمتاع العقلي والتقدم في المهن أو حذق مهن جديدة.

إن النموذج المعياري للتربية في العصر الجديد هو «التحليل الرمزي Symbolic Analysis» وستُقاس قوة الأمم العلمية في الزمن الجديد بعدد «المحللين الرمزيين» الذين تعدهم، وتفتح لهم هامشاً واسعاً من الحرية للإبداع والابتكار. إن الأمم التي ستمتلك أكبر عدد من هؤلاء المحللين الرمزيين هي الأمم التي ستكون الأكثر فعلاً في الوضع الاقتصادي العالمي الجديد، وهي ستكون الأقدر على تحليل وتشخيص وحل ليس مشكلات الاقتصاد والإنتاج فقط، ولكن ستكون عندها المعرفة والمعلومات اللازمة لتحليل المشكلات الاجتماعية

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 116 12/13/10 12:30:03 PM

والأوضاع العسكرية المحتملة أو المفاجئة، كما سيكون في مقدروها بيع واستثمار خبرات وكفايات محلليها الرمزيين في السوق الدولية لأغراض متنوعة.

ومع استمرار تعاظم القيمة الخاصة بوضع التصاميم Designs وبناء المفاهيم Concepts، ومع استمرار أهمية هذه التصاميم والمفاهيم لتطوير مستويات الإنتاج المدني أو العسكري، فإن الطلب سيظل يتعاظم على التحليل الرمزي، وسيضمن الطلب المتواصل والمتزايد على المحللين الرمزيين والمؤسسات التي يرتبطون بها موارد مالية ضخمة لهم ولبلدانهم.

تقوم تربية «المحلل الرمزي» على أربعة عناصر تدريبية يتوجب على التربية العربية أن تبدأ جادة بجعلها محور العملية التعليمية اليومية، هذه العناصر الأربعة هي:

1 ـ	التجريد	Abstraction
2 ـ	التفكير وفق منطق النسق	System Thinking
3 ـ	التجريب	Experimentation
4 ـ	العمل المشترك	Collaboration

ـ 6 ـ

في عصر الإبداع الذي تولد فيه أجيالنا الجديدة سيكون من الذنوب المدمرة الإصرار على التمسك بتربية هذه الأجيال على (التوافق القسري Compulsive Conformity) مع المواريث الاجتماعية غير ذات المعنى في الزمن الجديد؛ لأن هذا التمسك سيجرد هذه الأجيال من «قدرة الإبداع»، ويمسكها في دائرة «الإتباع» المعوقة. الإبداع ليس كلمة صوفية تشرق في عرفانية متصوف منقطع عن العالم. الإبداع «فعل» يقع في هذا العالم ابتغاء نقله إلى مرتبة أسمى. ومن هنا فليس هناك إبداع من دون مبدعين، أي: من دون بشر يقومون بعملية الإبداع، البشر وليس المجتمعات البشرية كما يقول أرنولد توينبي هم الذين يصنعون التاريخ.

وفي هذا الإطار البشري لمفهوم التاريخ يتميز الفرد بمكانة مركزية؛ لأنه مصدر كل الفعل الاجتماعي، وهو جمّاع Locus كل الحقيقة الروحية والقيم.

هذه النزعة الإبداعية المشترطة لنجاح التربية العربية في القرن الجديد لا ينبغي أن تزيد في قلق القلقين على قضيتي «الثقافة» و«الهوية».

إن هاتين القضيتين ستظلان بين القضايا المركزية في التربية الجديدة. ولكن التحدي الذي سيواجه التربية العربية في هذا المجال هو كيف نربي أجيالنا على نقد ثقافتهم؛ لفهمها، وإعادة تقويمها وتفعيلها بدلاً من الاكتفاء بمجرد إعادة إنتاجها وتقديسها. إن هذا التحدي الأكبر للتربية العربية يفتح الباب واسعاً على ما لم تفعله هذه التربية للآن فظلّت ترسف في أغلال (الماضوية)، وقد أزف الوقت الذي يجب عليها أن تتحرر، أو أن تُحَرَّر من أغلال الماضوية لتستعيد حيويتها وإبداعيتها حاضراً ومستقبلاً لإنتاج أفراد مبدعين، متحررين عقلياً وضميرياً من أوزار الماضي الذي حُرِموا من استثمار أحسن ما فيه.

إن ما يعزز إمكانية هذا التحرر أو التحرير أن أدواته قائمة في (الفكر العلمي الإسلامي)

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 117 12/13/10 12:30:03 PM

الـذي ظل مطروداً مـن المناهج الدراسـية العربية والكتب المدرسـية، ومحجوباً عن العقول البازغـة. هـذه الأدوات المحـررة للعقل كمـا بلورها العلميون المسـلمون القدامى هي سـبع أدوات، وهي ما تزال معتمدة في البحث العلمي المعاصر:

أولاً ـ مبدأ الشك سبيلاً إلى اليقين:

في القرن الثالث الهجري، وقبل ديكارت بثلاثة قرون، طالب الجاحظ بتعليم مبدأ (الشك سبيلاً إلى اليقين) أو المعرفة الصحيحة. قال الجاحظ في (كتاب الحيوان):

> «فاعـرف مواضع الشـك وحالاتها الموجبـة له؛ لتعرف بهـا مواضع اليقين والحالات الموجبة له. وتعلّم الشك في المشكوك فيه تعلّماً.. فلو لم يكن في ذلك إلا تعرّف التوقف ثم التثبت لكان ذلك ما يحتاج إليه».

ثانياً ـ «فن التساؤل» المؤدي إلى تحديد المفاهيم:

مع تقعيد قاعدة الشـك اكتشـف العلميون المسـلمون أهمية «التساؤل غير المشروط» من حيث هو عنصر عضوي في تكوين طريقة البحث العلمي الموصل إلى «تعريف Definition» المفاهيم Concepts، تمهيداً لتصنيفهـا وعلى هذا مثلاً مَيَّزوا بين (المعرفة Knowledge) وبـين (العلم Science) فقصروا الأولى على الحواس، وحصروها في المعاني الجزئية، أما (العلم) فقالوا: (إنه أخصّ بالمعقولات والمعاني الكلية).

ثالثاً ـ استحالة الفصل بين (الطريقة) و(الموضوع)، أو بين «الفكر» و«المادة» في الدرس العلمي:

قـال ابـن رشـد (إن علمنا معلـول للمعلوم بـه؛ فهو محـدث بحدوثه، ومتغيـرّ بتغيره، ووجود الموجود هو عِلّة وسبب لعلمنا به والكليات المعلومة عندنا معلومة أيضاً عن طبيعة الموجود).

رابعـاً ـ لم يكتف العلميون المسـلمون من العلم بالملاحظة والتدويـن، وإنما خطوا وراء ذلك الخطـوة المكملـة، فدخلوا فـي ممارسـة «التجريـب Experimentation»، وقـد عُرف عن الجاحـظ مثلاً أنه كان يقتني في بيته أنواع الحيوانات والنباتات، يهجّنها بيديه، ويَنظر ما يطرأ عليها من التحولات والتبدلات في أصنافها أو خلقتها أو في سلوكها.

خامساً ـ قيمة الاختلاف في الرأي وفقاً لـ «البرهان» القائم:

لقـد منحت هذه المغامرة مع العلم أهلها درجة عالية من الشـجاعة الخلقية في مواجهة المتطلبات الأخلاقية للمنطق العلمي، فلم يتخوفوا من الاختلاف في المذاهب، علميةً كانت أم دينيةً أم اجتماعيةً ما دامت الأطراف المعنية ملتزمة باحترام الحق حين ينجلي، وبالحقيقة حين يكشف عنها الحجاب، وكانت تلك الشـجاعة مؤسسـة على اقتناعهم – كما يقول أبو حيان التوحيدي– بـأن (المذاهب هي نتائـج الآراء، والآراء ثمرات العقول، والعقول مَنْحُ الله للعباد، وهذه النتائج مختلفة بالصفاء والكدر، وبالكمال والنقص، وبالقلة والكثرة، وبالخفاء والوضوح).

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 118 12/13/10 12:30:04 PM

سادساً - حماية الحقيقة العلمية من جور اللغة عليها:

لقد نبههم تفكيرهم العلمي إلى وجوب التحرز من جور اللغة على الفكر، فاستعصموا من ذلك بالتحديد الدقيق لمعاني المفردات والمصطلحات العلمية التي يستعملونها لكي لا تحمل إمكانية أكثر من معنى واحد في الموقع الواحد، فإذا أرادوا مثلاً أن يتكلموا عن أسباب الحدوث تساءلوا (ما السببُ وما العلّة؟ وما الواصل بينهما إن كان واصل؟ وهل ينوب أحدهما عن الآخر؟ وإن كانت هناك نيابة أهي في مكان وزمان؟ أو في مكان دون مكان، أو زمان دون زمان؟ وعلى ذكر الزمان.. هل الوقت والزمان شيء واحد؟ (أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة).

سابعاً - الإيمان بأهمية التنشئة على «التعددية» الفكرية بين الناس، وما تربِّي عليه هذه التعددية من التسامح وقبول الآخر:

يقول أبو حيان التوحيدي في (الإمتاع والمؤانسة): (إني لأعجُب من ناس يقولون: كان ينبغي أن يكون الناس على رأي واحد، وهذا ما لا يستقيم، ولا يقع به نظام).

-7-

لن تستكمل التربية الجديدة قدرتها على بناء العقل العربي الحر ما لم تنضح العقول الناشئة بمرونة التسامح الفكري التي يوفرها تراث الإسلام العلمي، ومرونة اللغة العربية وغناها، وقدرتها على جلاء مطالع التنوير في الثقافة والمعرفة. طبعاً لن تكون هذه مهمة سهلة في مجتمع يعاني من خلفيات طائفية وقبلية وعنصرية وجهوية، ولكن المهام الصعبة ليست مهمات مستحيلة أو مستعصية على التربية العقلانية المنظمة. كلنا يعرف موقف المحافظين من المسلمين في الأزمنة الراهنة من «نظرية التطور»، وكيف يسفّهونها ويكفّرونها، غير أن (إخوان الصفا) في القرن الثالث الهجري عندما التقوا (نظرية التطور) في ملامحها الإغريقية الأولى من خلال طاليس (القرن السابع ق. م) وأناكسيماندر (611-456 ق.م) لم يرفضوها، ولم يكفّروا القائلين بها، ولم يسفّهوا منطقها، وإنما هم وَفّقوا بينها وبين ما يقوله النص المقدس عن خلق العالم، فلاحظوا أن (اليوم) الوارد في القرآن الكريم (خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) لا يعني اليوم الإنساني العادي (24 ساعة)؛ لأن القرآن نفسه يقرر أن اليوم الإلهي هو (كألف سنة مما تعدون الحج /47)، وفي مكان آخر (خمسين آلاف سنة / المعارج /4) وإذا كان ذلك كذلك فإن (الكون) قد تكوّن في ستة ألاف سنة على القول الأول، أو في ثلاثمائة ألف سنة على القول الثاني، وعلى هذا قبل اخوان الصفا فكرة أن العالم قد خُلِق خلقةً تطورية. أما القوانين الطبيعية التي حكمت عملية التطور(والتي اسماها داروين فيما بعد تنازع البقاء وبقاء الأصلح) فقالوا: إنها من صنع الله تعالى؛ لأن الله لا يترك العالم سُدى. بهذا حسم إخوان الصفا حسماً لطيفاً ما يتراءى للبعض أنه صراع أو تناقض بين الدين والعقل؛ لأن هذا الذي يتراءى لهؤلاء «البعض» صراعاً أو تناقضاً لا يتعدى كونه (كيفيةً) في فهم النص المقدس، وفي تفسيره.

إن مقاربةً حرةً كمقاربة إخوان الصفا، لنظرية التطور لو وجدت طريقها إلى عقول الناشئة عبر مناهج تربوية قاصدة للتنوير العقلي، ومن خلال كتب مدرسية محكمة تدرّس من قبل

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 119 12/13/10 12:30:04 PM

معلمين متنورين، ستكون إسهاماً بلا حدود في نضج العقول الشابّة بالمرونة والانفتاح والاستعداد للتعامل مع الآخرين، ومع العالم تعاملاً موضوعياً مُبرّءاً من الانغلاق العقلي المشحون بالتعصب والبغضاء.

-8-

حقاً إن تربية العقول المفتوحة وهي التكليف الأعلى للتربية العربية في الزمن الجديد هي في الوقت عينه فريضة دينية وأخلاقية في وقت معاً، إنها عودة إلى الصفاء الروحي في الدين، وإلى إيجابية فعل العقل في تنظيم المجتمع، وقد وعاها، ودعا إلى وجوب العمل بها ابن سينا منذ نيف وألف عام:

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم

وما عليك إذا أخطأت من باس

إلا اثنتين فلا تقربهما أبداً

الشركُ بالله والإضرارُ بالناس

أليس في هذا النوع من تعليم حقيقة الدين ضمانة ضد العنف، وضد سياسات البغضاء والتخلّف التي عصفت وما تزال تعصف بالوجودين العربي والإسلامي؟

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 120 12/13/10 12:30:04 PM

تقارير

تقرير حول زيارة
مجموعة ريجيو إيميليا (Reggio Emilia)

إيطاليا، 22 - 28 فبراير 2010

أ.د. بدر عُمر العُمر د. علي عاشور الجعفر

كانت البداية، حين تبنت الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية مشروع ترجمة بعض الكتب النظرية والتطبيقية في ميدان الطفولة، والتي ستساعد الاختصاصيين وطلبة العلم على متابعة الجديد في مثل هذا الحقل المعرفي، كما تساعد أساتذة الجامعة على اتخاذ مثل هذه الترجمات لتكون مصادر تعلم لطلبتهم، ولا سيما أن كليات التربية تحتاج لمثل هذا الإنتاج المترجم، وكبداية لهذا المشروع تم اختيار كتاب:

The Hundred Languages of Children
The Reggio Emilia Approach Advanced Reflections

وقد تم الانتهاء من ترجمته، ويجري العمل حالياً على مراجعته تمهيداً لطباعته.

وفي اجتماع اللجنة الاستشارية للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية المنعقد في 3 فبراير 2010، تمت مناقشة موضوع كيفية التواصل مع المنظمات والجمعيات المهتمة بالطفولة، وقد تم اختيار مجموعة (ريجيو إيميليا) في إيطاليا، وقد تم تكليف كل من: أ.د. بدر عمر العمر، د. علي عاشور الجعفر القيام بزيارة هذه المجموعة في إيطاليا كبداية لهذا التواصل، بهدف مَدّ جسور التواصل والتعاون، والتي من ضمنها تبني الجمعية لأهداف هذه المدرسة، والعمل على الاستفادة من أفكارها في دولة الكويت.

وبناءً على ما تم الاتفاق عليه في اجتماع اللجنة الاستشارية المذكور، تمت مراسلة مجموعة (ريجيو إيميليا) والتنسيق معهم، وعمل الترتيبات اللازمة للزيارة التي تمت خلال الفترة من 22 ـ 28 فبراير 2010.

اللقاء الأول:

(1) كان تباحث وحوار بشكل مستفيض عن (ريجيو إيميليا)، وتم شرح دور الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية على المستوى المحلي والعربي، وأهمية أدوارها الثقافية.

(2) إبراز دور الجمعية باعتبارها المناصرة للطفولة بجوانبها المختلفة، وفتح الباب لكي تلعب مثل هذا الدور، والحوار مع (ريجيو إيميليا).

(3) وقد أتاح هذا اللقاء الاقتراب أكثر من أفكار مجموعة (ريجيو إيميليا)، كما أبدت المجموعة سعادتها لوجود جمعية مثل الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 121 12/13/10 12:30:05 PM

تتحمس لأفكارها في المنطقة العربية، كما أبدت المجموعة غبطتها البالغة عند معرفتها قيام الجمعيـة بترجمـة كتـاب: The Hundred Languages of Children، وقد تطوعت «أمليا جامبيتا» (منسق الشـبكة الدولية) بكتابة مقدمة للطبعة العربية لهذا الكتاب.

اللقاء الثاني:

(1) زيارة معرض الضوء.

(2) زيارة معرض تاريخ رياض الأطفال في إيطاليا بشـكل عـام، و(ريجيو إيميليا) بصفة خاصة، مع ربطه بالأحداث الزمنية، والأفكار الكبرى التي حدثت في العالم على اعتبار أن إيطاليا جزء من العالم الكبير.

(3) معـرض الأثاث الخاص بالأطفال، وكيفية انتشـار مثل هذا النوع من الأثاث بمشـاركة مصممين متنوعين.

(4) زيارة إعادة التدوير المبتكر (MEDA).

اللقاء الثالث:

بيان كيفية العمل مع (ريجيو إيميليا) بحسب رؤيتهم:

(1) تكويـن فريـق صغير متخصص يتم تهيئته مسـبقاً، علـى الأقل بقراءة أفـكار (ريجيو إيميليـا)، والتي يوجد معظمها في الكتاب الذي قامت الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية بترجمته.

(2) على أن يصبح هذا الفريق نواة لبث أفكار (ريجيو إيميليا)، ونشرها عن طريق الحديث مع متخذي القرار.

(3) إلحاق فريق من المدرسين (40 ـ 60) بدورة تدريبية يتم من خلالها اطلاعهم على برامج (ريجيو إيميليا)، وزيارة مدارسهم، على أن يتم إخطار (ريجيو إيميليا) قبل نهاية شهر مايو إذا ما أريد لهم السفر للعام القادم.

(4) اسـتضافة فريق (ريجيـو إيميليا) لزيارة الكويت لمدة أسـبوع لعـرض أفكار (ريجيو إيميليا) مع الفريق الذي تم إعداده وإلحاقه بالدورة التدريبية، بالإضافة إلى مجموعة من المعلمين من القطاعين العام والخاص.

(5) استعداد مجموعة (ريجيو إيميليا) المطلق للتعاون المشترك حول ترجمة مطبوعاتهم إلى العربية كجزء من عملية الوعي الثقافي، على أن يتم تحديد العناوين المراد ترجمتها.

أ. د. بدر عمر العمر

د. علي عاشور الجعفر

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 122 12/13/10 12:30:05 PM

أنشطة وأخبار
الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

* عُقد الاجتماع الأول لمجلس أمناء شبكة المعلومات العربية التربوية (شمعة) في فندق جيفينور روتانا - بيروت بتاريخ 27/2/2010، وقد حضره الدكتور حسن الإبراهيم. وكان جدول الأعمال مليئاً بالموضوعات المهمة الآتية:

- تهنئة الحاضرين بحصول المشروع على الترخيص بموجب المرسوم الصادر عن رئيس الجمهورية اللبنانية بإنشاء جمعية أجنبية باسم «شبكة المعلومات العربية التربوية (شمعة)».
- اقتراح انتخاب الدكتور حسن الإبراهيم رئيساً لمجلس أمناء (شمعة) لمدة عام، وقد أثنى أعضاء المجلس على هذا الاقتراح، وتمنوا له التوفيق في مهمته. بعد ذلك، ترأس الدكتور الإبراهيم الاجتماع.
- قراءة المادة الأولى المتعلقة بصلاحيات مجلس الأمناء.
- ضم أعضاء جدد لمجلس الأمناء.
- انتخاب اللجنة التنفيذية.
- تقرير إنجازات شمعة.
- التقرير المالي لشمعة.
- برنامج شمعة للسنة التالية (2010/2011).

* قام كل من أ. د. بدر عمر العمر، د. علي عاشور الجعفر، ممثلين عن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية بزيارة إلى مجموعة ريجيو إيميليا (Reggio Emilia) في إيطاليا خلال الفترة من 22 ـ 28 فبراير 2010 - وتُعَد هذه المجموعة مدارس لمراحل ما قبل المدرسة الابتدائية (الحضانة - رياض الأطفال)، حيث تُعتَبر أحد أهم الاتجاهات التعليمية الحديثة برياض الأطفال - وذلك بهدف مَدِّ جسور التواصل والتعاون، والتي من بينها تبنّي الجمعية لأهداف هذه المدرسة، والعمل على الاستفادة من أفكارها في دولة الكويت.

وقد تقدمت الجمعية باقتراح إلى معالي وزيرة التربية ووزيرة التعليم العالي الدكتورة موضي الحمود بشأن استعداد الجمعية لمدّ قنوات الاتصال فيما بين وزارة التربية وبين مجموعة «ريجيو إيميليا»، بشأن الاستفادة من خبرتهم التي من الممكن أن تنهض بشكل حقيقي بمرحلة التعليم ما قبل المدرسي (الحضانة ورياض الأطفال) في الكويت. واضعين في الاعتبار أن وزارة التربية ستكون هي المجموعة العربية الأولى التي سيكون لها حظوة هذا التواصل.

وقد تلقت الجمعية ترحيباً من معالي الوزيرة بهذا الاقتراح،والآن التنسيق جارٍ بين الجمعية والوزارة حول هذا الموضوع.

* ألقى الدكتور حسن الإبراهيم - ممثل الكويت لدى المجلس التنفيذي للمنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (يونيسكو) كلمة في دورة المجلس الـ184 (30 مارس - 15 أبريل 2010) بباريس في يوم الأربعاء الموافق 7 أبريل 2010، التي أكد فيها ضرورة تحقيق ثلاثة أهداف: الأول القبول بالآخر واحترام ثقافته، والثاني توفير التعليم الجيد وتعميمه، والثالث صون النظام البيئي لضمان مستقبل الإنسان في العيش الكريم والمستدام.

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 123 12/13/10 12:30:06 PM